دانِ .. دانْ

« الذي اوجع النخيل تلك الليلة شمال ، اوجع أكف الرجال ايضا وهي لا تدري : بم تجيب اغنية الشيخ الذي ينفق كلما ازداد رقصا وغناء . والسطوح الطينية المجاورة انخفضت اكثر من ذي قبل ـ فيما ادري ـ وسؤال الشيخ ينزرع فيها وفي النباتات المترفصة ازاءها ثقيلا ومحملا وحقيقيا .

والسوار الابيض المطعم بالانوف والوجوه الفامقة والعيون المموهجة يرتج حوله كلما اوغل في رواية قصته مقبض العينين مجنون الخطى .. يطوف بالحلقة .. فيخر الكف الكتف نحرا كأنما هو يؤنبه لما اصاب الشيخ السائل المغني ، فتصطفق الراحات بالراحات .. والاقدام بالاقدام .. ويعلو الغبار وتتصاعد رائحة الشواء الانساني من الاجساد المجهدة .. ويلح الشيخ في السؤال، فلا يجيبه الجمع بغير : « دان دان » .

كان في لهجته ما ينم على انه من الجنوب من تلك القلاع التي بذرها الغزاة رصاصا ودما .. طاف .. وتلوى مثل أي نهر يسرق صمت الوديان واحزان المروج .

وكان يسأل : متى سيعود الى المراعي والجبال والحب الذي ينجم بينهما .. يسأل حتى امتلأ وذوى .

نظر الي صديقي في طريق العودة ، فأجبت على الفور : « دان .. دان . »

فواز

***

صفق الراقص فاصطفت على الجنبين جدران
.. ونخل .. ويدان
واستدار الليل خوصا .. ووجوها تتلوى دان .. دان
كان شيخا خلفه سبعون عاما .. وصحارى
.. وعلى الخصر نطاق .. وعلى الساج تلوب القدمان
تخفق الراحة كالنسر على الاخرى .. وتعدو
الساق خلف الساق .. يلتف ..
ويستعطي أكف المنشدين
يتعرى راقصا من عمره السبعين .. يرفضْ
جبين بارق .. تبكي ـ اذا اوجعه
اللحن ـ شفاه .. ويدانْ ،
ويغني .. طائفا بالساحة الكبرى .. فتنهدْ
أكف : دان .. دان

***

نزل الليل الى الساح فغطته العيونْ .
قبل أن تحمر .. غطته العيون .
واستقام النخل للريح .. ومالْ .
حينما هبت شمال .
واتكى الحائط مهدودا على الحائط .. والشيخ يغني
سائلا أيدي الرجالْ
قدماه اغبرتا .. والوجه يكتظ بعشب
الارض .. والطل .. فيخضرْ الجنوبْ .
بصبايا يتلثمن بعيدا .. وصغار يسألون
الشيخ ـ والصيحة في الاعين ـ ماذا سيكونْ ؟
طائفا بالساح .. كانْ
قبل ان تنهدْ أشجار الرياح الهوج .. أوجاع القلوبْ
قبل ان تحمرْ في الساح العيونْ
حاصروه .. اشتعل الشيخ غناء ..
حاصروه .. اشتجرت منه اليدانْ
فدنا منه خليج من أنف وشفاه : دان .. دانْ

***

هو في الساح .. وفي الليل البوادي
وعروس تتلوى في الفراش
وقتيل من أحبته .. دم في كل وادي
ويغني .. مثلما غنت صبيه .
هي أخت لشهيد مات في ارض بلادي
ـ قبليني .. قبليني .. لن أعودْ
لن أرى كفك ترتاع بكفي
لن أرى وجهك في الماء ـ اذا اعطش ـ
.. لن يشحب نايي اذ تعودين مساءْ
وعلى أرضي بقايا من دماءْ
يا عروسي قبليني .

***

وجع الشيخ .. توهجْ
دار .. فانحلّ النطاق وأكف تتموجْ .
ـ فمتى أرحل كالنهر اليها ؟
ـ دان .. دانْ
ـ وأراها ـ مثلما كانت ـ صبيه ؟
ـ دان .. دانْ
ـ آكل الخبز .. واصفرْ اذا قالت : وداعا ؟
ـ دان .. دانْ
ـ تتدانى ـ ان بكت يوما على النهر بصمت ـ ضفتان ؟
ـ دان .. دانْ
ـ اشتري مهرا .. وحله ؟
ـ دان .. دانْ
ـ وعطورا للصبيه ؟
ـ دان .. دانْ
ـ نزرع الارض سويا ؟
ـ دان .. دانْ
ـ آه .. هيا .
صرخ الشيخ .. وجارت راحتاهْ .
نحر الكتف أخاه .. اصطفقت أيدي الرجالْ .
فأجاب الليل .. أقواسا .. وأجراس نجوم ..
وصحارى : آه .. آه
زرعوا الساحة اقداما حواليه .. فماتت من نحيب
قدماهْ .

الرياض

فواز عيد